

## أسلوب التقابل في سورة الزمر وأثره في التفسير (التقابل المفرد أنموذجاً)

محمد شفيق بن عبد الرحمن، محمد مجالي أحمد رابعة\*

### ملخص

تناول هذا البحث أسلوب التقابل المُفرد في سورة الزمر، واقتضى ذلك التعريف بمفهوم "أسلوب التقابل"، وبعض المصطلحات المقاربة لمفهوم التقابل، ثم عرض البحث لأشكال التقابل، ومنها التقابل المفرد المتعلق بذات الإنسان، حيث اقتصر على التقابل بين: الكفر والشكر، والضر والرحمة، وقساوة القلب ولينه، وإرسال النفس المتوفاة وإمساكها، وكشف عن أثر التقابل في توصيل المعاني إلى النفس في أبلغ عبارة. وتوصل البحث إلى أنّ للسياق أثراً كبيراً في الوقوف على المعنى المراد بدقة مما يفيد المتدبر لكلام الله تعالى، ويجعله يشعر بإعجاز القرآن البياني ويتذوقه.

الكلمات الدالة: أسلوب التقابل، سورة الزمر.

### المقدمة

يتحدث هذا البحث عن أسلوب التقابل في سورة الزمر وأثره في التفسير (التقابل المفرد أنموذجاً)، وبيان أثر ذلك في التفسير، وهذا التقابل له مظاهر مختلفة، منها ما هو مفرد، ومنها ما هو متعدد، ومنها ما هو سياقي، ولقد اخترنا من بين هذه المظاهر أن نتحدث عن التقابل المفرد في التفسير.

ومما دفعني لاختيار هذا الموضوع، ما لاحظته من اعتماد آيات سورة الزمر على التقابل عموماً في كافة مظاهرها، انطلاقاً من الوهلة الأولى لاسم السورة، فإن اسمها أخذ من فكرة ذهاب أهل الإيمان إلى الجنة زمراً، وذهاب أهل الكفر والعصيان إلى النار زمراً؛ لذا سميت هذه السورة بسورة الزمر، وانطلاقاً من هذه الفكرة تمثل سبب اختياري لهذا الموضوع.

وتكمن أهمية هذا البحث في أنه يكشف عن ملامح التناسب بين آيات القرآن الكريم، ويرفع من قيمتها الإعجازية في نفس المتلقي، علاوة على أهميته في خدمة كتاب الله تعالى، وإبتغاء الأجر والثبوة منه سبحانه وحده.

وقد هدف هذا البحث إلى الحديث عن مفهوم التقابل في عجالة، ومفهوم المفرد كذلك في عجالة، وربطهما مع بعضهما بما يسير وفقاً لطبيعة هذا البحث، كما هدف إلى إبراز مظاهر التقابل المفرد في سورة الزمر، والحديث عن أثره في التفسير.

وقد اتبع هذا البحث خطوات المنهج الوصفي، بدءاً من استقراء الآيات القرآنية التي تحدثت عن موضوع التقابل، وصولاً إلى النتائج المرجوة من هذا البحث.

وانقسم هذا البحث في حديثه عن التقابل المفرد في سورة الزمر وأثره في التفسير إلى مدخل وستة مباحث وخاتمة كما يلي:

نظراً لكثرة التقابلات في سورة الزمر، فإن هذا البحث اقتصر على التقابل بين جملة من المفردات وهي: الكفر والشكر، والضر والرحمة، وقساوة القلب ولينه، والإرسال والإمساك، ولأجل ذلك اقتضت طبيعة البحث أن ينقسم إلى المباحث الآتية:

المبحث الأول: مفهوم أسلوب التقابل.

المبحث الثاني: التقابل بين شرح الصدر وقساوته وأثره في التفسير.

المبحث الثالث: التقابل بين الهداية والضلال وأثره في التفسير.

المبحث الرابع: التقابل بين الرحمة والضر وأثره في التفسير.

المبحث الخامس: التقابل بين الصعق والقيام بعد النفخ في الصور وأثره في التفسير.

\* كلية الشريعة، الجامعة الأردنية، الأردن. تاريخ استلام البحث 2017/9/25، وتاريخ قبوله 2018/6/27.

المبحث السادس: التقابل بين الإرسال والإمساك وأثره في التفسير.

الخاتمة: وفيها النتائج التي توصل إليها الباحث.

وأخيراً أرجو من الله العلي القدير أن يكتب في هذا البحث النفع والخير والبركة، والحمد لله رب العالمين.

#### مشكلة البحث:

يحاول هذا ملخص البحث الإجابة عن سؤال: ما مظاهر التقابل المفرد في سورة الزمر، وما أثره في التفسير، وقد انبثقت عنه الأسئلة الآتية:

- ما مفهوم التقابل بوصفه أسلوباً لغوياً؟
- ما مظاهر التقابل في سورة الزمر؟
- كيف تعاملت سورة الزمر مع التقابلات المختلفة في آياتها الكريمة؟
- ما آثار ذلك التقابل على التفسير لسورة الزمر؟

#### أهمية البحث:

وتكمن أهمية ملخص البحث في أنها تعالج موضوع التقابل بما هو أوسع من مفهومه في (علم البديع)، وتكشف عن جزئية من جزئيات الإعجاز البياني في القرآن الكريم، وكيف يمكن لنا أن نفيد منه عند تفسير كلام الله تعالى، بما يضمن عدم تحميل كلام الله ما لا يحتمل، أو الاقتصار على بعض المعاني المحتملة من العبارة دون محاولة الإحاطة بجميعها.

#### أهداف البحث:

وتهدف ملخص البحث إلى تحقيق مجموعة من الأهداف وهي على النحو الآتي:

- بيان مفهوم التقابل بوصفه أسلوباً لغوياً.
- تحديد مظاهر التقابل في سورة الزمر.
- عرض أسلوب سورة الزمر مع التقابلات المختلفة في آياتها الكريمة.
- الكشف عن أثر التقابل في التفسير من خلال التطبيق على التقابل المفرد في سورة الزمر.

#### الدراسات السابقة:

لم يقف الباحث على ملخص البحث خصت التقابل في سورة الزمر، مع أنّ هناك دراسات كثيرة تناولت سورة الزمر، ومن أقرها دراسة قام بها: أبو راس، مروان محمد عايش: "دراسة موضوعية في سورة الزمر"، وليس فيها تقاطع مع هذا البحث إلا العناوين العامة في الحديث عن أسلوب السورة في الحديث عن القضايا الكبرى.

وهناك دراسات حول التقابل في القرآن الكريم، منها:

أولاً: دراسة قام بها: عز الدين، عماري: أسلوب التقابل في الربع الأخير من القرآن الكريم "دراسة أسلوبية"، وهي رسالة ماجستير في اللغة العربية، تناولت الأسلوب على منهج اللغويين، حيث عرضت الدراسة إلى مفهومه بين القدامى والمحدثين، ثم مظاهر التقابل، وجمالياته، ثم اختار بعض النماذج للدراسة، مستعينا ببعض التفاسير في دراستها.

والذي يمتاز به ملخص البحث عن هذه الدراسة: أنه يتناول جميع مظاهر التقابل المفرد في سورة الزمر، مع بيان آثارها في التفسير.

ثانياً: دراسة قام بها: إبراهيم، كمال عبد العزيز: "مقابلات متميزة في القرآن الكريم دراسة بلاغية"، اختار الباحث نماذج لإجراء التقابل عليها، موزعة على مقابلات بين مطلع سورتين، أو اختيار موضوع من سورتين، أو تقابلات بين مطلع سورة وخاتمتها، أو التقابل بين أجزاء سورة وآية منها، وعرض أخيراً إلى المقابلة في ذات النفس البشرية.

وما يميز هذا البحث عن هذه الدراسة: أنه استقصى نوعاً من التقابل، ثم بين أثره في التفسير.

#### منهج البحث:

اقتضت طبيعة ملخص البحث أن يسلك المناهج الآتية:

أولاً: المنهج الاستقرائي: المتمثل في إحصاء مواضع التقابل في سورة الزمر، وتصنيفها.

ثانياً: المنهج التحليلي الاستنباطي: وذلك بجمع الملحوظات العامة التي يجدها الباحث ذات صلة بموضوع البحث، وتصنيفها، وتبويبها، واستقراء مادتها للوصول إلى الفرضيات التي تقود في نهاية المطاف إلى النتائج المرجوة.

#### محددات البحث:

- نظراً لكثرة التقابلات في سورة الزمر، فإن هذا ملخص البحث اقتصر على التقابل بين جملة من المفردات وهي: الكفر والشكر، والضر والرحمة، وقساوة القلب ولينه، والإرسال والإمساك، ولأجل ذلك اقتضت طبيعة البحث أن ينقسم إلى المباحث الآتية:
- المبحث الأول: مفهوم أسلوب التقابل.
- المبحث الثاني: التقابل بين شرح الصدر وقساوته وأثره في التفسير.
- المبحث الثالث: التقابل بين الهداية والضلال وأثره في التفسير.
- المبحث الرابع: التقابل بين الرحمة والضر وأثره في التفسير.
- المبحث الخامس: التقابل بين الصعق والقيام بعد النفخ في الصور وأثره في التفسير.
- المبحث السادس: التقابل بين الإرسال والإمساك وأثره في التفسير.
- الخاتمة: وفيها النتائج التي توصل إليها الباحث.

#### المبحث الأول

##### مفهوم "أسلوب التقابل"

مفهوم "أسلوب التقابل"، مأخوذ من مفهومي الأسلوب والتقابل، ولأجل ذلك تناول البحث كل مفردة على حدة؛ بُغية الوصول إلى مفهوم هذا الأسلوب في الدرس التفسيري.

##### المطلب الأول: مفهوم "الأسلوب" لغة واصطلاحاً

"الأسلوب" لغة: مأخوذ من الجذر اللغوي: سَلَبَ، وهو يشير إلى الاستقامة، والامتداد، الذي يجعل سالكه يسير فيه بخفة، من غير حاجة إلى روية وإعمال عقل، وعلى هذا المحور دارت معاجم اللغة<sup>(1)</sup>، ثم أُطلق مجازاً على الاختلاس، وأخذ مال الغير بسهولة ويسر، والاسترسال في أشكالٍ معيّنة من القول<sup>(2)</sup>.

الأسلوب اصطلاحاً: يشير المعنى الاصطلاحي للأسلوب إلى الطريقة أو السمة العامة التي يكون عليها إطلاق الكلام، فيقولون مثلاً: أسلوب الحكيم، أي طريقته في إلقاء الكلام على المتلقي على غير ما يتوقع<sup>(3)</sup>.

والأسلوب اسم جامع لكل شيء امتد وطال، فهو على زنة "أفعال"، ويطلق هذا اللفظ على الفن والطريقة<sup>(4)</sup>.

والأسلوب هو طريقة الكاتب في إيراد الكلام<sup>(5)</sup>.

غير أن أبرز تلك التعريفات التي تناولت مفهوم الأسلوب، هي تلك التي مزجت بين مكونات الخطاب اللغوي بأكمله، فلكل من الكاتب، والمتلقي، والنص اللغوي دور في تحديد مفهوم الأسلوب، والأسلوب طريقة متميزة لعرض الخطاب أو الكلام وفقاً لصحة اختيار المفردات وتوافقها مع اختيار المعاني التي تتدرج تحتها<sup>(6)</sup>.

##### المطلب الثاني: التقابل لغة واصطلاحاً

التقابل في اللغة: إن كلمة "التقابل" مأخوذة من الجذر: "قَبَلَ"، وهو جذر دال على معنى مواجهة الشيء بالشيء<sup>(7)</sup>، وثمة تقارب بين مفهوم "التقابل" و"المقابلة"<sup>(8)</sup>، وهو الذي أخذ به في هذا البحث؛ إذ المقصود منه دراسة هذه الظاهرة الأسلوبية في سوق الشيء وما يقابله، سواء كان على سبيل التضاد أو مجرد المقابلة من غير تضاد في المحل الواحد.

التقابل في المعنى الاصطلاحي: يشير إلى معانٍ متقاربة من المعنى اللغوي، إذ يقول الجرجاني مبيناً مفهوم التقابل وعلاقته بالمقابلة أو الطباق أو التطبيق: "وهو أن يجمع بين المتضادين مع مراعاة التقابل"<sup>(9)</sup>.

في حين يشير التهانوي إلى أن التقابل ما هو إلا المقابلة التي يعرفها أهل البديع، وهي مقابلة الشيء بضده، ومن هنا سُميت بالتقابل<sup>(11)</sup>، وهذه الإشارة داخلة في علم البديع.

من خلال ما تقدّم يمكن القول بأن مفهوم "أسلوب التقابل" هو: الطريقة المنظمة التي يقدم فيها المتكلم خطابه، بحيث يجمع بين الشيء ومقابلة؛ من أجل الزيادة في الإقناع والإفهام.

## المبحث الثاني

### التقابل بين شرح الصدر وقساوة القلب وأثره في التفسير

الصدر محلّ القلب، فإذا كانت القضية تتعلّق بالقلب بمجمله أطلق لفظ الصدر، وإذا كان التركيز على عملٍ من أعمال القلب، أو إخراج أي احتمال لإرادة غيره كان لفظ القلب، قال تعالى: (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارَ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ) [سورة الحج، الآية 46]، وقبل الشروع في التقابل تقدّم مفهوم انشراح الصدر، وقساوة القلب، لتظهر روعة التقابل بينهما في سورة الزمر؛ بما يفيد في فهم هذين المتقابلين على أكمل وجه.

### المطلب الأول: مفهوم انشراح الصدر، وقساوة القلب

أولاً: انشراح الصدر: الانشراح: (انفعال) من الشرح، والشرح يدور في معناه حول: الكشف، ولا يكون ذلك إلا للممتدّ، ومنه شرح الله صدر فلان لكذا<sup>(12)</sup>، وإذا قصد به شرح الكلام، فيكون للدلالة على: "الفتح والبيان"<sup>(13)</sup>. يقول السمعاني في بيان مفهوم انشراح الصدر: "هو التوطئة للإسلام والتمهيد له"<sup>(14)</sup>. فشرح الصدر هو تسهيل الإيمان، وتحبيبه، وإعداد القلب إلى تلقّيه وقبوله وتحصيله<sup>(15)</sup>، ويكون ذلك بالتخلية مما يحول بين القلب والإيمان، وتحليته بالإيمان، ومقتضياته<sup>(16)</sup>، ولهذا كان التركيز على شرح الصدر؛ لأنّ "الشرح بيان المشروح وإخراجه من وجه الإشكال إلى التجلي والظهور"<sup>(17)</sup>، وهذا لا يصلح للقلب؛ كونه عرضة للتقلب من حال إلى حال، وقد جاء في القرآن وصفه بالقساوة واللين، لا بالضيق والشرح كما هو الحال مع الصدر.

### ثانياً: قساوة القلب

القساوة هي: الصلابة والغلظة والشدة في الشيء، ولما لهذه الأوصاف من المضادة لمراد الآخر قيل: مقاساة، وقاساه: كابد<sup>(18)</sup>.

ولفت العسكري إلى الفرق بين الصلابة والقسوة بقوله: "الفرق بين الصلابة والقسوة: أن القسوة تستعمل في ما لا يقبل العلاج ولَهَذَا يُوصَفُ بِهَا الْقَلْبُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ صَلْبًا"<sup>(19)</sup>.

وقد يتعدّى فعل القساوة بـ (عن) وبـ (من)، قال الكفوي: "قسا قلبه من ذكر الله وعن ذكر الله فمعنى الأول: قسا من أجل الشيء وبسببه، والثاني غلظ عن قبول الذكر، والأول أبلغ"<sup>(20)</sup>.

### المطلب الثاني: التقابل بين شرح الصدر وقساوة القلب

يذكر الله سبحانه وتعالى في سورة الزمر أن انشراح الصدر سبيل للهداية، وطريق للإيمان، وأن قساوة القلب سبيل للضلال المبين، يقول سبحانه وتعالى: (أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) [سورة الزمر، الآية 22].

تعقد الآية مقابلة بين من شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه، وبين القاسية قلوبهم، والغاية من هذا المثل بيان امتداح من شرح الله صدره للإيمان<sup>(21)</sup>، ولهذا كان الشرح مصاحباً لعلو صاحبه وجعله (على نور من ربه)<sup>(22)</sup>، والتقدير: أفمن هو مشروح الصدر، كمن هو قاسي القلب، وهذا من دلالة اللاحق على السابق<sup>(23)</sup>، لكنّ الله سبحانه نسب شرح الصدر إليه، ولم ينسب قساوة القلب؛ لأنه ذكر فيما بعد أنّ انشراح الصدر لا يكون إلا بمنحة إلهية، متمثلة بانبعث ذلك النور الإلهي في قلب الإنسان، ليكون سبيلاً إلى هدايته، وهو ما لا يجده من قسا قلبه عن ذكر الله تعالى، فلا سبيل لدخول نور الله إلى ذلك القلب<sup>(24)</sup>. وهذا مناسبٌ للتعبير القرآني بالشرح مع الصدر، وبالقساوة مع القلب، وإن كان الحديث في الحالين على محل واحد، وهو القلب، ولأجل هذا كانت فاصلة الآية منصبة على القاسية قلوبه: (فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال مبين)، وذلك ناتج عن عدم انشراح صدره للإسلام والدين<sup>(25)</sup>.

وفي الحقيقة ثمة تقابل بينهما، فالانشراح يقابله القساوة، فكما أن الله سبحانه وتعالى يفتح القلب ويلينه للإيمان، فثمة قلوب ليست لينة، وإنما هي قاسية، فاللين في مقابل القسوة، والانفتاح في مقابل القساوة، وهذا التقابل قائم على أساس التضاد بين الموقفين، فكأن القلب القاسي ليس مفتوحاً لدخول نور الإيمان، والهداية الإلهية، في حين أن القلب المنشرح مفتوح لدخول هذا النور، ليتهايأ لقبول الدين القويم.

### المطلب الثالث: أثر التقابل بين شرح الصدر وقساوة القلب في التفسير

ولم يغفل المفسرون الإشارة إلى هذه العلاقة بين المتقابلين في الآية الكريمة، فذكروا أن القلب في الصدر، وأن الصدر موضع القلب؛ لذا ناسب أن يأتي هذا مع ذلك، يقول البيضاوي في هذا المعنى: " أَمَّنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ حَتَّى تَمَكَّنَ فِيهِ بَيْسَرٌ عَبَّرَ بِهِ عَمَّنْ خُلِقَ نَفْسُهُ شَدِيدَةً الْإِسْتِعْدَادَ لِقَبُولِهِ غَيْرَ مَتَأَيِّبَةٍ عَنْهُ مِنْ حَيْثُ إِنََّّ الصَّدْرَ مَحَلَّ الْقَلْبِ الْمُنْبَعِ لِلرُّوحِ الْمُتَعَلِّقِ لِلنَّفْسِ الْقَابِلَةِ لِلْإِسْلَامِ "(26).

لقد وصل هذا المعنى المراد في الآية من خلال هذا التقابل العجيب بحيث لم يقل: أَمَّنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ فَوَيْلٌ لِلضَّائِقَةِ صُدُورِهِمْ، ولم يقل: أَمَّنْ لَيَّنَ اللَّهُ قَلْبَهُ، فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبِهِمْ، وإنما قَدَّمَ الشرح ونسبه إليه، وأخر القساوة مبدوءة بالتهديد والوعيد ومنسوبة إلى صاحبها، فلا هداية وتوفيق إلا بيد الله، ولا ضلال وقساوة قلب إلا بكسب الإنسان، يقول سبحانه وتعالى: (كَلَّا بَلْ رَأَى عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)، [سورة المطففين، الآية 14].

ومن خلال هذا التقابل تتكشف للمتلقى معاني دقيقة، وصورٌ من التعبير حيّة، ما كان له أن يتصورها حقّ تصوّرها لولا هذا التقابل العجيب.

### المبحث الثالث

#### التقابل بين الهداية والضلال وأثره في التفسير

كثيراً ما تأتي الهداية متقابلة مع الضلال في آيات القرآن، فبضدّها تتميّز الأشياء، وفي سورة الزمر يأتي هذا التقابل في صورة متجلية سيأتي بيانها في هذا المبحث.

وقبل البدء بذلك تحسن الإشارة إلى أن العلماء ذكروا أن للهداية أربعة أنواع هي (27):

هداية الفطرة [الغريزة]: وهي هداية المخلوق إلى ما فيه بقاء حياته وحسن معاشه، كهداية الطير إلى صنع العش، وهداية الرضيع إلى الثدي، وهداية الدلالة والإرشاد: وهي متعلقة بكلّ من دلّ إلى الخير، وهداية التوفيق للإيمان: وهي خاصة بالله عزّ وجلّ، وهداية دخول الجنة أو النار: وهي مرتبة على ما سبق من الإيمان والكفر.

#### المطلب الأول: مفهوم الهداية والضلال

أولاً: لفظ "الهداية" من الجذر اللغوي "هَدَى"، وهو جذر دال على معنى الإرشاد والدلالة، يقال: هداه الله للدين (28)، وقد تقدّم أن للهداية في القرآن أربعة معانٍ (29)، واحدة منها يشترك فيها الحق والخلق، وهي هداية الإرشاد والبيان، والثلاثة الأخرى مختصة بالله سبحانه.

ويمكن القول بأن الهداية تمثل إمكانية الفرد من الوصول إلى مطلوبه وغايته، وليس شرطاً أن يسلك ذلك الطريق الموصل إلى غايته، وإنما المهم أن يكون قادراً على سلوك ذلك الطريق، فإن اتبع ذلك الطريق كان مهدياً، وإن لم يتبعه كان ضالاً (30).

ثانياً: لفظ "الضلال": مأخوذ من الجذر "ضَلَّ"، وهو يدل على الضياع والفقدان، يقال: ضلّ فلان جملة في الصحراء، أي: فقده، والضلال والضلالة مصدر واحد (31).

وعند إنعام النظر في مفهومي "الهداية والضلالة" وحقائق ما تقعان عليه، يتبين أن العلاقة بينهما علاقة تضاد لا وسط بينهما، يقول المناوي: "الضلال: فقد ما يوصل إلى المطلوب. وقيل سلوك طريق لا يوصل إلى المطلوب... وقيل فقدان الطريق السوي... وهو العدول عن الطريق المستقيم، ويضاده الهداية. ويقال: الضلال لكل عدول عن المنهج عمداً أو سهواً، قليلاً أو كثيراً" (32).

#### المطلب الثاني: التقابل بين اقشعرار الجلود ولينها تبعاً للهداية والضلال

تذكر آيات سورة الزمر اقشعرار جلود الذين يخشون ربهم إذا سمعوا آيات القرآن الكريم، يقول سبحانه وتعالى: (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ) [سورة الزمر، الآية 23].

تشتمل الآية الكريمة على تقابل بين:

(تقشعر جلودهم)، في مقابل: (تلين جلودهم وقلوبهم).

ويظهر من خلال هذا التقابل مقدار الترابط بين اقشعرار الجلود ولينها، والتقابل الثاني: بين الهداية والضلال، وما يترتب على كل موقف من هذين الموقفين؛ فالمؤمن الحقيقي يقشعر جلده حينما يستمع للقرآن الكريم خوفاً مما فيه من الوعيد، ثم يلين جلده وقلبه لتلك المواعظ الإلهية، ويلين جلده لذكر الله تعالى، وهذه هي المرتبة الحقيقية للإيمان الحقيقي الذي تعبر عنه الآية بالهداية، وضدها تماماً هو الضلال الذي لا هداية بعده<sup>(33)</sup>.

ولعل من يريد فهم هذا التقابل حقّ فهمه يحتاج إلى تحديد كل ما تحتله مفاهيم الهداية التي ترتب عليها اقشعرار الجلود ثم لينها، تبعاً لما اعتري القلوب من اللين، ثم يرتب على ذلك فهم الضلال، والذي كان سببه قساوة القلوب، فإذا وضع نصب عينيه هذا التقابل فهم كلام الله تعالى في الآية حقّ فهمه.

### المطلب الثالث: التقابل بين كون الهداية والضلال بيد الله وحده

يقول سبحانه وتعالى في السورة الكريمة: (أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (36) وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ)، [سورة الزمر، الآيات 36 – 37].

تشتمل هذه الآية الكريمة على موقفين متقابلين هما:

(من يضلل الله)، في مقابل: (ما له من هاد).

و(من يهد الله)، في مقابل: (فما له من مُضِلٍّ).

ظهر الاسم الجليل (الله) مع الهداية والضلال، وجاء الفعل في الحالين بالفعل المضارع، وفي الضمير المستتر جاء المصدر: (هاد، مُضِلٍّ)، وهو يؤكد أنّ الضلال والهداية – التي هي هداية التوفيق، وضدها الضلال المبني على عدم التوفيق – لا يملكها إلا الله تعالى، وعلى ذلك ينبغي أن يتعاطى الدعاء، مقتفين أثر النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، الذي حباه الله مقام العبودية، ومنّ عليه بالكفاية.

وقد أكدت الآية القرآنية الكريمة على أن أمر الهداية والضلال بيد الله سبحانه وتعالى وحده، لذا كان النفي مرتين: فما له من هاد، وما له من مضل، وهو تأكيد منه سبحانه وتعالى بأن أمر الهداية والضلال بيده وحده<sup>(34)</sup>.

### المطلب الرابع: التقابل بين كون إنزال القرآن سبباً للهداية أو الضلال

يتناول هذا المطلب نوعاً آخر من الهداية والضلال المبني على اختيار العبد، وهو غير هداية التوفيق السابقة، بل هداية مبنية على اختيار العبد، وأخذة بالأسباب أو تنكبه عنها، يقول سبحانه وتعالى: (إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ)، [سورة الزمر، الآية 41].

يظهر من خلال الآية الكريمة التقابلات الآتية:

(من اهتدى)، في مقابل: (من ضل).

(فلنفسه)، في مقابل: (عليها).

يظهر من هذه التقابلات أنّ الهداية والضلالة مبنية على اختيار العبد، وتنفي أن يكون للنبي صلى الله عليه وسلم مدخل فيها<sup>(35)</sup>، وهذا لا يتعارض مع وظيفته عليه الصلاة والسلام بالهداية، كما قال تعالى فيه: (وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)، [سورة الشورى، الآية 52]، ولا تنفي أنّ الله تعالى يهدي، كما سبق في المطلب السابق؛ لأنّ الحديث هنا عن نوع آخر من أنواع الهداية والضلال، وهو المتوقّف على كسب العبد واختياره، لكونه مختاراً، لا مسيراً.

تشير الآية الكريمة إلى أن القرآن الكريم سبب في حصول الهداية وانتفائها عن الناس، فالعلاقة بينهما علاقة ضدية، هذا من جهة، ومن جهة ثانية فإن العلاقة بينهما وبين القرآن الكريم علاقة السبب بالمسبب، فالقرآن الكريم سبب في حصول الهداية، والبعد عنه سبب في وقوع الضلال، من هنا ارتبط الحديث عن القرآن الكريم وهو الحق من عند الله تعالى، بالحديث عن الهداية والضلال.

وعندما يلتفت المفسر إلى هذا التقابل، ويأخذ بعين الاعتبار هذه العلاقة، فإنه – بإذن الله – سيكون في حرج من أن يضرب كتاب الله بعضه ببعض، ويكون تفسيره معتمداً على قدم ثابتة لفهم كلام الله على الوجه اللائق، وهو ما يلمسه القارئ للتفسير التي تعنى بالمشكل، وأمور العقيدة والرّد على بعض الفرق، كابن الزبير الغرناطي، والرازي، والألوسي، وغيرهم.

#### المبحث الرابع

##### التقابل بين الرحمة والضر وأثره في التفسير

تأتي الرحمة في مقابل الضر في سورة الزمر؛ لذا يجدر الحديث عن هذا التقابل وفقاً لما تقتضيه الدراسة، وذلك ببيان موضع هذا الحديث في سورة الزمر، وتوضيح عناصر هذا التقابل.

##### المطلب الأول: مفهوم الرحمة والضر

الرحمة مأخوذة من الجذر اللغوي "رَجَمَ"، وهو جذر دال على معنى الرأفة والرقّة والعطف، يقال: رحمه يرحمه، إذا رَقَّ له وتعطف عليه<sup>(36)</sup>، وهناك لفظ آخر يأتي بمعنى الرحمة، ألا وهو المرحمة، فالمرحمة كالرحمة في معناها<sup>(37)</sup>. ويشير لفظ الرحمة في اللغة إلى معانٍ متعددة كاللين، والرقّة، والعطف، والمغفرة، وغيرها من المعاني التي تدخل ضمن هذا الإطار، ودون شك فإن الرحمة بعمومها تدل على هذه المعاني، وقد وصف سبحانه وتعالى القرآن الكريم بأنه رحمة للعالمين؛ وذلك لما فيه من الهداية والتشريع<sup>(38)</sup>.

أشار الجرجاني إلى معنى عام للرحمة، فكل من أراد أن يوصل الخير للناس، يمكن بشيء من التجوز أن نسميه رحيماً، غير أن ذلك قد يتخصص بالحديث عن الله عز وجل، فإن الرحمة تقتزن بالله عز وجل كثيراً، فيقال: رحمة الله تعالى، وهو إرادته سبحانه وتعالى الخير لعباده جميعاً<sup>(39)</sup>.

وكما هو واضح من خلال المعنى اللغوي للرحمة، فإنه مفهوم عام، لا يشترط فيه شيء، وليس له حد، ولا يقل المعنى الاصطلاحي للرحمة عموماً وشيوعاً عن المعنى اللغوي، إذ بين الجرجاني أن مفهوم الرحمة مرتبط بإرادة إيصال الخير للناس<sup>(40)</sup>.

واقتران الرحمة بالله سبحانه وتعالى في أكثر الأحيان، يدل على اختصاصه بهذه الرحمة، وتزنيهه عن أن يكون مثل أحد من خلقه في هذه الصفة؛ لذا وُصف سبحانه بأنه "رحمان"، وهذه الصفة لا تكون إلا له عز وجل<sup>(41)</sup>. ومن خلال المعنيين اللغوي والاصطلاحي للرحمة يتبين لنا أنها اسم جامع لكافة أشكال الخير التي يريد الله سبحانه وتعالى، أو أحد من خلقه للناس كافة، فالعطف، واللين، والمغفرة، والتعطف، والإحسان، كلها أشكال خير يريد الله سبحانه وتعالى لعباده، وهي في المقابل من مكونات الرحمة.

أما معنى الضر في اللغة فهو مأخوذ من الفعل "ضَرَرَ"، وهو فعل يدل على الشدة، وسوء الحال، وفيه لغتان مسموعتان عن العرب، بفتح الضاد وضمها<sup>(42)</sup>.

والضر خلاف النفع، وهو ضده، يقال: ضَرَّهُ يَضُرُّه ضَرّاً، إذا ساءه، ولم ينفعه، ويحمل على هذا المعنى معانٍ كثيرة، منها "الضَّرُّ" بالكسر، تزوج فلان على زوجته، فهو في أصله من معنى ضد النفع<sup>(43)</sup>، ومنه الضراء: وهي السنة الجذباء المحلّة، والضاروراء: القحط والشدة، والضر: سوء الحال<sup>(44)</sup>.

ويظهر لنا من خلال المعنى اللغوي السابق أن مفهوم الضر متلخص في معنى الشدة، وسوء الحال، والقحط، والمحل، وهي أمور سيئة لا يريد الإنسان، ولا يسعى إليها.

أما معنى الضر اصطلاحاً فيذكر المناوي تفصيلاً لهذا الضر، فيقول: "الضر: بالفتح والضم، ما يؤلم الظاهر من الجسم، وهو ما يتصل بمحسوسه في مقابلة الأذى، وهو إيلاام النفس وما يتصل بأحوالها، وتشعر الضمة في (الضَّرُّ) بأنه من علو وقهر، والفتحة بأنه ما يكون عن مماثل ونحوه، وقلّ ما يكون عن الأذى إلا أذى... والضَّرُّ سوء الحال في نفسه؛ لقلّة نحو علم وفضل عنه، أو بدنه؛ كقنص جارحة، أو حاله؛ كفقْد مال أو جاه"<sup>(45)</sup>.

من هنا يمكن أن نقول إن الضر اسم جامع لكافة ما يؤذي النفس، ويدخل الألم عليها، سواء أكان ذلك مادياً أم معنوياً، فأى شيء يدخل هذا الأمر على النفس يغدو ضراً، ويتقل حمله على الشخص الذي وقع عليه.

وبناء على ما سبق كله، يمكن أن نلاحظ أن الرحمة والضر ليستا متضادتين، فمعنى الرحمة لا يصاد معنى الضر، على الرغم من وجود بعض المعاني المشتركة بين المصطلحين، إلا أن ذلك لا يصل إلى حد التضاد، ولكن يمكن القول بأن الضر جزء من انتقاء الرحمة، وانتقاء الضر جزء من وجود الرحمة، يعني ذلك أن الضر والرحمة متعلقان ضمن علاقة الجزء بالكل، وهو ما سنوضحه وفقاً لما ورد في سورة الزمر.

**المطلب الثاني: التقابل بينهما في سورة الزمر**

يقول الله سبحانه وتعالى: (وَلَيْسَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لِيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ)، [سورة الزمر، الآية 38].

تشتمل الآية الكريمة على المتقابلات الآتية:

(الضر)، في مقابل: (الرحمة).

(كاشفات ضره)، في مقابل: (ممسكات رحمته).

تتمثل الغاية من وجود هذا التقابل بين ما يملكه الله سبحانه وتعالى من الضر والنفع والرحمة، وما لا تملكه الآلهة من دونه، في إثبات حقيقة العبودية لله سبحانه وتعالى، والإنكار على المشركين ما هم عليه من ادعاء ألوهية هذه الأصنام التي لا تملك نفعاً ولا ضرراً، فكان الإثبات لهم من خلال الدليل الحسي الملموس المتمثل بهذا المثل الذي ضربه سبحانه لكشف الضر أو إمساك الرحمة<sup>(46)</sup>.

شبه سبحانه وتعالى كشف الضر بكشف الشيء الحقيقي، وذلك من قبيل الاستعارة، فكأن الضر يكون مغطى أو ساتراً على شيء، فيكشف هذا الضر، كما أن الإمساك من قبيل الاستعارة كذلك، فكأن الرحمة ممسكة بيد الآلهة، أو أنها تستطيع أن تمسكها، كما يمسك الإنسان الأشياء بحقيقتها، فكان ذلك من قبيل المجاز والاستعارة<sup>(47)</sup>.

اشتملت مفردات الآية القرآنية الكريمة على التقابل بين الرحمة والضر، وأن هذه الرحمة لا يملكها إلا الله، والضر كذلك، وقد اتضح من خلال هذا التقابل في الآية الكريمة، أن من يعي تماماً هذه المعاني، يتوكل على الله في كل شيء، وأن الله حسبه في كل شيء؛ لذا فهو في موضع ثقة به سبحانه وتعالى، ولا يمكن أن يصل إليه ضرر إلا بإرادته، كما أنه لا تصل إليه رحمة إلا بإرادته كذلك، وأن من يتوكل على الأصنام يفقد هذا الإحساس كله، وهو تعريض للمشركين، وحكاية لنفسياتهم المريضة التي تؤمن ببعض ما لله وتتسبب البعض الآخر للآلهة المزعومة دون أن تعي أن لله الخلق والأمر، وهذا المعنى يمكن أن نستخلصه من خلال علاقة التقابل بين الرحمة والضر في الآية القرآنية الكريمة السابقة<sup>(48)</sup>.

**المطلب الثالث: علاقة الرحمة والضر بالشرك والإيمان**

يتبين من خلال ما سبق التقابل بين الرحمة والضر من جهة، والشرك بالله سبحانه وتعالى من جهة ثانية، فإن الله سبحانه وتعالى وحده الذي يملك الرحمة والضر، من هنا فهو وحده المستحق للعبادة دون غيره مما يُشرك به، وهذا بإقرار الذين أشركوا أنفسهم، الأمر الذي يجعل المؤمن بالله قوياً في مذهبه، متأكداً من رحمة الله تعالى به.

والعلاقة التي تربط الإيمان بالرحمة والشرك بالضر علاقة السبب بالمسبب، فإن إيمان الإنسان بأن الله سبحانه هو الرحيم النافع الضار، يفضي به إلى توحيده سبحانه، وإذا رأى أن النفع والضرر يستطيع غير الله أن يوقعه ويرفعه متى شاء، وقع في الشرك، فالعلاقة التي تربط بين الطرفين علاقة سببية، وهي خاضعة لفكرة التقابل التي أشرنا إليها سابقاً.

والذي يفيد منه المفسر في مثل هذا الحال: أن يضع نصب عينيه هذا الترابط بين الشرك والضر والرحمة والتوحيد؛ حتى لا يخرج عن المحل فينساق إلى بحث عقدي - مثلاً - في أسماء الله تعالى، أو بحث اجتماعي في الحديث عن الرحمة وغيرها، بل ينبغي أن يراعي هذه الثنائية، وتلك العلاقة بين كون التوحيد بكل مفرداته مفضياً إلى الرحمة، وأن الشرك بكل أبعاده موقع في الضر، ولا يستطيع الوقوف على حقيقة كل منهما ويعطيه حقه إلا إذا جعل كل واحدٍ منهما مقابل الآخر، وكما سبق؛ فإن الأشياء تتجلى حقانها بأضدادها، فبضدّها تتميز الأشياء.

**المبحث الخامس****التقابل بين الصعق والقيام بعد النفخ في الصور وأثره في التفسير**

يرد في سورة الزمر تقابل بين نفختي الصعق والنشور يوم القيامة، وهو تقابل لا يقوم على أساس من التضاد، بل يقوم على أساس من التعلق الترتيبي بين هذين الموقفين، الصعق والقيام يوم القيامة، وفيما يلي سنبين هذا التقابل كما ورد في سورة الزمر.

### المطلب الأول: نفختا الصعق والنشور يوم القيامة

ذهب جمهور أهل العلم إلى أنه ينفخ في الصور يوم القيامة نفختين، الأولى تسمى نفخة الصعق، والثانية تسمى نفخة النشور أو القيام، وهما مذكورتان في سورة الزمر، ولا يقول أحد من أهل العلم بأن النفخ في الصور أقل من ذلك<sup>(49)</sup>، وقد اختلفوا فيما بعد ذلك، بين قائل: هي ثلاث نفخات<sup>(50)</sup>، وقائل: أربع، ومرّد الجميع إلى ما اتفقوا عليه؛ نفختان<sup>(51)</sup>. وقد ورد ذكر هاتين النفختين في سورة الزمر بشيء من التقابل، بمعنى أن نفخة الصعق تقابل نفخة البعث والنشور والقيام، وسنبين ذلك فيما يأتي:

### المطلب الثاني: التقابل بين النفختين في سورة الزمر، ودلالة هذا التقابل

يقول الله سبحانه وتعالى: (وَنُفِّخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِّخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ بِنُظُرٍ) [سورة الزمر، الآية 68].

تشتمل الآية القرآنية الكريمة السابقة على تقابل واضح بين نفخة الصعق، ونفخة القيام يوم القيامة، وما يترتب على كل نفخة من هاتين النفختين؛ فبعد نفخة الصعق يصعق جميع من في السماوات والأرض، إلا من شاء الله، ويقابل ذلك في نفخة القيام قيام المصعوقين على نحو ما ذكره تعالى (ينظرون).

فهم هذا التقابل، وربطه بسببه، وقدرة الله تعالى، تجعل المفسر يركّز عليهما، ولا ينصرف قلمه وذهنه إلى الخوض في صفة الصور، ولا من الذي ينفخ، بل، تحمله على التركيز على الحدث، وهو: النفخ في الصور نفسه، وملاحظة تلك النتائج المتضادة، فالصعق والقيام متضادان، يعني أن الصعق دليل على فقدان الوعي، والقيام دليل على كمال الوعي، غير أن المسبب لهذا الصعق وهذا القيام واحد، ألا وهو النفخ في الصور، فالسبب واحد، والنتائج متضادة، وما ذلك إلا بقدرة الله سبحانه وتعالى، فهو سبحانه وحده القادر على ذلك، وقد توصلنا لهذه الدلالة من خلال علاقة التقابل بين هاتين النفختين، وهو نفيده من دراسة التقابل.

### المبحث السادس

#### التقابل بين الإرسال والإمساك وأثره في التفسير

ورد في سورة الزمر تقابل بين إمساك الأنفس وإرسالها، وذلك في معرض الحديث عن الوفاة الصغرى والوفاة الكبرى، وقد ظهر أثر ذلك في التفاسير، واقتضت طبيعة البحث هنا الوقوف على بعض ما ذكره المفسرون؛ حتى يظهر من خلاله التطبيق العملي للسير مع المتقابلات في تفسير كلام الله تعالى. وطلبًا للاختصار، فقد تمت دراسة هذا التقابل من حيث علاقته بمعنى الإرسال والإمساك، ومن حيث علاقته بمحلّه، وهو: الوفاة، على النحو الآتي:

### المطلب الأول: التقابل الإرسال والإمساك وأثره في المعنى

يقول الله سبحانه وتعالى: (اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) [سورة الزمر، الآية 42].

تبين هذه الآية الكريمة ما يحصل من قبض الأنفس حين نوم الناس، فإن الله سبحانه وتعالى يقبض تلك الأنفس، ثم إنه سبحانه وتعالى يرسل التي لم ينته أجلها فتعود إلى الحياة مرة أخرى، ويقبض التي انتهت أجلها، وماتت، فلا تعود تلك النفس إلى الجسد<sup>(52)</sup>.

يقول البغوي في بيان ذلك: "اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ، أي الأرواح، حين موتها، فيقبضها عند فناء أكلها وانقضاء آجالها، وقوله: حين موتها يريد موت أجسادها. التي لم تمت، يريد يتوفى الأنفس التي لم تمت، في منامها، التي تتوفى عند النوم هي النفس التي يكون بها العقل والتمييز، ولكل إنسان نفسان وهي التي تفارقه إذا نام، وهو بعد النوم يتنفس. فيمسك التي قضى عليها الموت، فلا يردها إلى الجسد"<sup>(53)</sup>.

ويمكننا الاستفادة من هذا الربط بما يأتي:

أولاً: تقريب الصورة بين الميت والنائم، إذ بينهما شيء مشترك، ألا وهو عدم التمييز، فكما أن الميت لا يميز، فإن النائم لا يميز كذلك، من هنا كان تشبيه النائم بالميت مقصوداً في الآية الكريمة، إذ إن النائم فاقد للتمييز، وهو بذلك كالميت، فجعل الله

سبحانه وتعالى حاله ذاك كحال قبض روحه، إلا أنها تعود إليه عند الاستيقاظ، في الوقت الذي لا تعود فيه تلك الروح لذلك الإنسان عند موته<sup>(54)</sup>.

ثانياً: تحقيق الهدف من الآية، والذي ظهر في فاصلتها؛ وهو: الدعوة إلى التفكر، والذي يفهم منه أن ما يجري من هذه الأحوال بالنسبة للأنفس يستحق التفكير، ويستحق التأمل، إذ إنه بهذا الإمساك والإرسال يتحقق معنى البعث والنشور الذي ينكره المنكرون، فكما أن الله سبحانه وتعالى يبعث هذه الأنفس التي لم تمت في منامها، ويعيدها إلى الحياة من جديد، فكذلك الأمر يبعث الناس بعد موتهم، ويعيدهم إلى الحياة، وذلك يوم القيامة<sup>(55)</sup>.

ويبين لنا الألووسي الفرق بين النفس والروح بما يرتبط بمعنى هذه الآية الكريمة، فالروح هي جوهر الحياة البشرية، فما دامت تسكن البدن فهو حي، وإذا زالت عنه صار ميتاً، وهي في الإنسان والحيوان، أما النفس فهي النفس الناطقة، وهي التي تقبض عند النوم كما هو في الآية الكريمة السابقة<sup>(56)</sup>.

ثالثاً: لفت النظر إلى دلائل قدرة الله تعالى على توحيده، وهي التي جاءت هذه السورة لتؤكدّها، وتنتفي ما سواها، فالتقابل بين الإرسال والإمساك في الآية الكريمة، يدلّ على تساوي الأمرين عند الله تعالى، فهو سبحانه وتعالى كما يرسل الأنفس التي لم يقبض عليها الموت في منامها، قادر على أن يمسخها، فلا تعود إلى الحياة من جديد، فالأمران عنده سبحانه وتعالى سيان، وهو قادر على أن يفعل هذا ويفعل هذا؛ لذا جاء الموقفان متقابلين ضمن الآية الكريمة.

#### المطلب الثاني: علاقة الإرسال والإمساك بالموت

تبيّن الآية الكريمة علاقة الإرسال والإمساك بالموت، وذلك أنها بدأت بالحديث عن قبض الله سبحانه وتعالى للأنفس التي انتهى أجلها، وماتت، وكذلك فإنه يقبض الأنفس التي لم ينته أجلها بعد، وذلك عند نومها، فيرسل التي بقي لها حياة، ويمسك التي انتهى أجلها<sup>(57)</sup>.

من خلال تفسير هذه الآية الكريمة تظهر تلك العلاقة المرتبطة بالموت بين الإرسال والإمساك، وذلك أن الموت إذا وقع بتلك النفس، أمسكها الله سبحانه وتعالى، أما النفس التي لم يقبض عليها الموت فإن الله سبحانه وتعالى يرسلها، بمعنى أن الموت هو الذي يحدد الإرسال والإمساك في هذا الموقف.

ويعد النوم مودة صغرى، فالنائم ميت، كما أن الميت ميت، والاستيقاظ من النوم كالبعث يوم القيامة، فكما يستيقظ الإنسان من نومه، فإنه دون شك سيُبعث يوم القيامة<sup>(58)</sup>.

فإذا كانت تلك النفس قد قضى الله عليها الموت، فإنه سبحانه وتعالى يمسخها، أما إذا كانت تلك النفس لم يقبض الله عليها الموت بعد، فإنه سبحانه وتعالى يرسلها، فالتى انتهى أجلها تُمسك، التي لم ينته بعد تُرسل<sup>(59)</sup>.

#### الخاتمة:

وفي نهاية هذا البحث يمكن لنا أن نصل إلى مجموعة من النتائج تتمثل فيما يأتي:

1. اشتملت آيات سورة الزمر على مجموعة متميزة من المتقابلات بين عناصر خارجية تؤثر في طبيعة علاقتها بالإنسان، كالرحمة والضر، والإرسال والإمساك، والنفخ في الصور، وغير ذلك من المتقابلات التي لها علاقتها المباشرة بالإنسان.
2. اشتملت هذه المتقابلات على دلالات مهمة برزت من خلال طبيعة العلاقة بين كل متقابلة من هذه المتقابلات، وكان لتلك المتقابلات أثرها في تشكيل دلالة الألفاظ والتراكيب ضمن الآية الكريمة.
3. قامت أكثر هذه المتقابلات على علاقة التضاد بين كل طرف من طرفيها، وهذا التضاد يمثل أهم تلك العلاقات التي يقوم عليها التقابل، إلا أنه لا يعد الشكل الوحيد للعلاقات التي تنظم طبيعة هذا التقابل بذاك، فهناك بعض المتقابلات التي تقوم على أساس علاقة السبب بالمسبب، ولكن ذلك لا ينفي أن علاقة الضدية هي أهم تلك العلاقات التي تبرز بين المتقابلات، وهي أساس تلك العلاقات انطلاقاً من فكرة التقابل بين الأطراف المتقابلة.

### الهوامش

- (1) الفراهيدي، العين، ج 7، ص 261، الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية، ج 1، ص 148 - 149، ص: 148.
- (2) انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج 3، ص 92، ابن سيده، المخصص، ج 3، ص: 309، ابن منظور، لسان العرب، ج 1، ص 473.
- (3) السيوطي، معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، ص 101.
- (4) الكفوي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، ص 82 - 83.
- (5) إسماعيل، الأدب وفنونه دراسة ونقد، ص 21.
- (6) عبد الجواد، الاتجاهات الأسلوبية في النقد العربي الحديث، ص 40 . 46.
- (7) ابن فارس، مقاييس اللغة، ج 5، ص 51 - 52.
- (8) ابن منظور، لسان العرب، ج 11، ص 540.
- (9) الجرجاني، كتاب التعريفات، ص 61.
- (10) انظر: التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ج 1، ص 495.
- (11) انظر: الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج 1، ص 378.
- (12) ابن فارس، مقاييس اللغة، ج 3، ص 269.
- (13) السمعاني، تفسير القرآن للسمعاني، ج 4، ص 465.
- (14) انظر: ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج 2، ص 342، الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج 2، ص 515.
- (15) انظر: الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ج 16، ص 1605.
- (16) العسكري، معجم الفروق اللغوية = الفروق اللغوية، ص 298.
- (17) انظر: الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج 6، ص 2462، الزبيدي، تاج العروس، ج 39، ص 297.
- (18) العسكري، الفروق اللغوية، ص 109.
- (19) الكفوي، الكليات، ص 113.
- (20) انظر: القشيري، لطائف الإشارات، ج 3، ص 276.
- (21) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 15، ص 247.
- (22) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 23، ص 379.
- (23) بنت الشاطي، التفسير البياني للقرآن، ج 1، ص 59.
- (24) انظر: الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، ج 4، ص 13، البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج 5، ص 40.
- (25) البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج 5، ص 40.
- (26) انظر: الحقوي، التوضيح الرشيد في شرح التوحيد المذيل بالنقيد لشبهات العنيد، ص 136.
- (27) انظر: الفراهيدي، العين، ج 6، ص 242، الجوهري، الصحاح، ج 6، ص 2533.
- (28) انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج 15، ص 356، الجرجاني، التعريفات، ص 256.
- (29) الكفوي، الكليات، ص 952.
- (30) الفراهيدي، العين، ج 7، ص 9، انظر، الجوهري، الصحاح، ج 5، ص 1748، ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج 3، ص 356.
- (31) المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، ص 223.
- (32) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 12، ص 59، انظر: البيضاوي، أنوار التنزيل، ج 5، ص 41.
- (33) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج 4، ص 129، انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 24، ص 12.
- (34) انظر: الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ج 8، ص 237، الجوزي: زاد المسير، ج 4، ص 19 - 20، القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج 15، ص 260.
- (35) ابن فارس، مقاييس اللغة، ج 2، ص 498.
- (36) الجوهري، الصحاح، ج 5، ص 1929.
- (37) ابن منظور، لسان العرب، ج 12، ص 230.
- (38) السيوطي، معجم مقاليد العلوم، ص 75.
- (39) الجرجاني، التعريفات، ص 110.
- (40) الكفوي، الكليات، ص 467.

- (41) الفراهيدي، العين، ج7، ص6.
- (42) ابن فارس، مقاييس اللغة، ج3، ص360.
- (43) ابن منظور، لسان العرب، ج4، ص483.
- (44) المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، ص222.
- (45) انظر: القشيري، لطائف الإشارات، ج3، ص282، الرازي، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، ج26، ص454.
- (46) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 17/24.
- (47) انظر: الماوردي، النكت والعيون، ج5، ص127، الواحدي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، ج3، ص582.
- (48) العقيلي، نهج الرشاد في نظم الاعتقاد، ص59.
- (49) العقيلي، نهج الرشاد في نظم الاعتقاد، ص59.
- (50) انظر: القرطبي، التنكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، ص490.
- (51) الماوردي، النكت والعيون، ج5، ص128.
- (52) البغوي، معالم التنزيل، ج4، ص91.
- (53) أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج9، ص207.
- (54) الجوزي، زاد المسير، ج4، ص20.
- (55) انظر: الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج12، ص56.
- (56) الواحدي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، ج3، ص583.
- (57) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج15، ص261.
- (58) الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج4، ص58 - 59.

#### المصادر والمراجع

- إسماعيل، عز الدين. (1998م). الأدب وفنونه دراسة ونقد. ط3. دار الفكر العربي. بيروت لبنان.
- الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله. (1415هـ). روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. ط1. دار الكتب العلمية. بيروت لبنان.
- البغوي، أبو محمد محيي السنة الحسين بن مسعود بن محمد. (1420هـ). معالم التنزيل في تفسير القرآن. ط1. دار إحياء الكتب العلمية. بيروت لبنان.
- البيضاوي، أبو سعيد ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد. (1420هـ). أنوار التنزيل وأسرار التأويل. ط1. دار إحياء التراث العربي. بيروت لبنان.
- التهانوي، محمد بن علي. (1998م). كشف اصطلاحات الفنون والعلوم. ط1. مكتبة لبنان ناشرون. بيروت لبنان.
- الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف. (1420هـ). الجواهر الحسان في تفسير القرآن. ط1. دار إحياء التراث العربي. بيروت لبنان.
- الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم. (1422هـ). الكشف والبيان عن تفسير القرآن. ط1. دار إحياء التراث العربي. بيروت لبنان.
- الجرجاني، علي بن محمد بن علي. (1403هـ). كتاب التعريفات. ط1. دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
- عبد الجواد، إبراهيم عبد الله أحمد. (1996م). الاتجاهات الأسلوبية في النقد العربي الحديث. منشورات وزارة الثقافة الأردنية، عمان. الأردن.
- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد. (1422هـ). زاد المسير في علم التفسير. ط1. دار الكتاب العربي. بيروت لبنان.
- الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد. (1407هـ). الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية. ط4. دار العلم للملايين. بيروت لبنان.
- الحقوي، أبو عبد الله خلدون بن محمود. (1415هـ). التوضيح الرشيد في شرح التوحيد المذيل بالتقيد لشبهات العنيد. ط1. القاهرة مصر.
- أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف. (1420هـ). البحر المحيط. ط1. دار الفكر. بيروت لبنان.
- الخازن، علاء الدين أبو الحسن علي بن محمد بن إبراهيم. (1415هـ). لباب التأويل في معاني التنزيل. ط1. دار الكتب العلمية. بيروت لبنان.
- الخطيب، عبد الكريم يونس. (2000م). التفسير القرآني للقرآن. ط1. دار الفكر العربي. القاهرة - مصر.
- الرازي، فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر. (1420هـ). مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير. ط3. دار إحياء التراث العربي. بيروت لبنان.
- الزبيدي، أبو الفيض محمد بن محمد بن عبد الرزاق. (1418هـ). تاج العروس. ط1. دار الهداية للنشر والتوزيع.
- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو. (1407هـ). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. ط3. دار الكتاب العربي. بيروت لبنان.
- السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد. (1418هـ). تفسير القرآن للسمعاني. ط1. الرياض السعودية.
- ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل. (1996م). المخصص. ط1. دار إحياء التراث العربي. بيروت لبنان.

- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. (1424هـ). معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم. ط1. مكتبة الآداب. القاهرة مصر.
- بنت الشاطي، عائشة محمد عبد الرحمن. (1421هـ). التفسير البياني للقرآن. ط7. دار المعارف، القاهرة مصر.
- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر. (1984هـ). التحرير والتنوير: تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد. دار التونسية للنشر والتوزيع. تونس، د.ط.
- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله. (1412هـ). معجم الفروق اللغوية = الفروق اللغوية بترتيب وزيادة، تحقيق: الشيخ بيت الله بيات. ط1. مؤسسة النشر الإسلامي.
- ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي. (1422هـ). المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. ط1. دار الكتب العلمية. بيروت لبنان.
- العقيلي، يوسف بن محمد بن مسعود بن محمد. (1435هـ). نهج الرشاد في نظم الاعتقاد، ط1.
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا. (1399هـ). معجم مقاييس اللغة. ط1. دار الفكر.
- الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد. (1994م). العين. ط1. دار ومكتبة الهلال. بيروت لبنان.
- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر. (1425هـ). التنكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة. ط1. دار المنهاج. الرياض السعودية.
- القسيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك. (1417هـ). لطائف الإشارات. ط3. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة مصر.
- الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى. (1968م). الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية. ط1. مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، الطبعة الأولى.
- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد. (1413هـ). النكت والعيون. ط1. دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
- المنائوي، عبد الرؤوف بن تاج العارفين. (1990م). التوقيف على مهمات التعاريف. ط1. دار عالم الكتب. القاهرة مصر.
- ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي. (1414هـ). لسان العرب. ط3. دار صادر. بيروت لبنان.
- الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد. (1994م). الوسيط في تفسير القرآن المجيد. ط1. دار الكتب العلمية. بيروت لبنان.

#### رسالة ماجستير:

- هاتم التميمي. (2016). "الأغراض البلاغية للتونين وأثرها في تفسير القرآن الكريم". مجلة الدراسات علوم الشرعية الجامعة الأردنية. الأردن. مجلد 43، عدد 3.
- جدالة بسامز. (2015). "لا إكراه في الدين دراسة تفسيرية مقارنة". مجلة الدراسات علوم الشرعية الجامعة الأردنية. الأردن. مجلد 2، عدد 3.
- ايملن الغزاو. (2016). "الحدائثيون العرب وموقفهم من القرآن ظاهرة الوحي إنموجاً - دراسة نقدية"، مجلة الدراسات علوم الشرعية الجامعة الأردنية. الأردن. مجلد 2، عدد 1.

## Opposites (Taqabul) in Surat Az-Zumar Qur'anic: a Rhetorical Study (Examples of “Taqobul Mufrad”-Contrast Word-)

*Mohd Shafiq Rahaman, M. Rabaa\**

### Abstract

This article talks about the language style of “taqobul mufrad” –contrast word- in Surat Az-Zumar. This article covers the meaning through a “taqobul” method and the use of certain terms close to the meaning. It then searches for examples of “taqobul mufrad”-contrast word- in achieving its own meaning. For example, the word ‘ingratitude’ in contrast to the word ‘gratitude’; ‘merciless’ in contrast to ‘merciful’; ‘hardness of heart’ in contrast to ‘gentleness of heart’; and searches for impact of “taqobul”-contrast- in achieving its own meaning. This article, searches, in depth, for the true and detailed meaning in understanding the Quran, which makes human beings feel its miracles by understanding as well as embracing it.

**Keywords:** (Taqabul) Surat Az-Zumar.

---

\* School of Sharia, University of Jordan. Received on 25/9/2017 and Accepted for Publication on 27/6/2018.